ما أشبهَ الليلةَ بالبارِحةِ

ويْلَكم يا لَغُدَر

أصل هذا المقال:
تفريغ وتنقيح لكلمة صوتية
ألقيت يوم الأحد الماضي بتاريخ ٢ صفر ١٤٣٩هـ
بمسجد الصحابة بكفر العلو بحلوان

حول أحداث الواحات الأخيرة

كتبه
أبو خديجة
عصام الدين بن أبي السعود
غفر الله له ولوالديه ولشيوخه وللمسلمين أجمعين.

ما أشبهَ الليلةَ بالبارِحةِ

ويْلَكم يا لَغُدَر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ ، أما بعد:

فلا يزال أهل الباطل ينفثون سُمومَهم ومكرَهم بين أهل الحق، ويحيكون القلاقلَ والفتن بين المؤمنين، ويتناصرون فيما بينهم ويتكالبون مع بعضهم للقضاء علىٰ أهل السنة -حكامًا ومحكومين- مع اختلافِ مناهجهم، وتنوُّعِ مشاربهم، وكثرةِ سُبُلهم، حتىٰ أنك تعجب من اجتماعِ الخارجي مع المرجئي، والقدَري مع الجبري، والرافضي مع الناصبي، والصوفي مع المعتزلي، والملحد مع من ينتسب إلىٰ الدين، إلىٰ غير ذلك من المتناقضات العقلية، والمسلّمات البديهية، فاجتمعوا علىٰ الكيد والفتك بأهل السنة -عوامَّ وعلماءَ وأمراء- ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [1].

لذلك أُمِر النبيُّ ﷺ -وأمتُه من باب أولىٰ- بترك هؤلاء القوم، واجتناب مجالسهم، وكتبهم، وأقوالهم، ومواقعهم، وقنواتهم، مع إخلاص النصح لأئمة المسلمين وعامَّتهم بالمعروف؛ فقال ﷻ : ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾ [2]. وقال ﷺ : "الدين النصيحة"[3] .

ويشتدُّ عداء أهل الباطل لأهل الحق كلما نشط أهل الحق في دعوتهم، وتحذيرهم من الباطل وأهله، وكلما ازدادت قوتُهم العلمية، والعسكرية، والاقتصادية، والسياسية، وكلما استقرت أحوالهم الاجتماعية، والأمنية، حينها يحيصون حيصَ الحُمُر، ويستنفرون أشرارهم وأفراخهم وأذنابهم من كل حَدَبٍ وصوْب؛ لتدمير هذه القوة، وضربِ اقتصادها، وبثِّ الفرقة بين أهل السنة، وزعزعةِ الأمن والاستقرار داخل بلادهم، وتجنيدِ الخائنين والمُخذلين وكلِّ مفتون؛ للعمل علىٰ تحقيق هذه الأهداف الخسيسة، ونصرة هذه المناهج الباطلة.

---

(1) سورة "الذاريات" الآية (٥٣) .

(2) سورة "الذاريات" الآيتان (٥٣-٥٥) .

(3) أخرجه مسلم من حديث تميم بن أوس الداريّ.

وللأسف الشديد: نجدُ من ضعافِ الإيمان، ومرضىٰ القلوب، وصغارِ العقول: من يستمع لأباطيلهم استماعَ المتلذذ، ويشاهد غدرَهم مشاهدة المستمتع، ويُذيع إفكهم إذاعة الحريص الناصح! وهم مع هذا يدَّعون أنهم يحاربون الظلم، وينصرون الحق! وهم كاذبون مراوغون، وإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

وقد حذّرنا الله ﷻ -في غيرِ آية- من وجودِنا بينهم، وسماعِنا لهم، وأخبرنا بكذب ما يدَّعون من نصرة الحق والدِّين؛ فقال ﷻ : ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (4).

وقال ﷻ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ (5).

وقال ﷻ : ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ (6).

ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ ..

لقد صبرَ النبيُّ ﷺ والصحابة ﷺ علىٰ أذىٰ المشركين والكافرين، بعدما تعرّضوا لصنوفٍ من الأذىٰ داخلَ مكة لمدةٍ تزيدُ علىٰ عِقدٍ من الزمان، ومُنعوا من الصدع بالحق، ومُنعوا الطعامَ والشراب، والبيعَ والشراء، والنكاح، لمدة ثلاث سنوات في شِعب بني هاشم، وقُتل منهم من قُتل لأجل نصرة العصبيات والنعرات الجاهلية.

لكنهم صبروا مع نبيِّهم ﷺ ، وهاجروا إلىٰ يثرب، وهناك ضربوا أروع الأمثلة للنهوض بوطنهم الجديد؛ فجمعوا بين حسن الإعداد المعنوي -بالعلم النافع، والعمل الصالح-، والإعدادِ الماديِّ -بتجهيز الجيوش، وتعلُّم الرمي-، والحفاظِ علىٰ النسيج المجتمعي -بالتآخي فيما بينهم، وحفظِ ذمة الله ﷻ ورسوله ﷺ مع أهل

(4) سورة "التوبة" الأيتان (٤٧-٤٨).
(5) سورة "البقرة" الأيتان (٢٠٤-٢٠٦)
(6) سورة "المنافقون" الأية (٤).

الذمة-، وبهذا وغيره أثنىٰ الله ﷻ عليهم في كتابه، فقال ﷻ : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [7].

لأجل ذلك: نصرهم الله يومَ بدر؛ بفضله ﷻ ، ثم بقوة إيمانهم وصبرِهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [8].

لكنّ هذه النجاحات والانتصارات المتتالية في مدة قصيرة -بعد عامين من الهجرة- غاظت قوىٰ الشرِّ والكفرِ والتطرُّف، فازداد حُنْقُهم وحُمقهم، واجتمع أعداء الحقِّ والدّين -رغم تباعد مساكِنهم، وتباين مناهِجهم- للنيل من هذه المدينة وقتالِ أهلها، وأظهر الجميعُ مكنون باطنهم الخبيث، وبدت البغضاء من أفواههم؛ فنقضوا عهدَهم، وألَّبوا إخوانَهم علىٰ بلدهم، ومن الناحية الأخرىٰ: زادت قريشٌ في طغيانها، وتطاول رؤساء اليهود علىٰ الإسلام وآذووا الله ﷻ ورسوله ﷺ ، وتحالف الأعرابُ خارج المدينة -من بني ثعلبة وغُطفان وبني سُليم- للغارة علىٰ المدينة.

حتىٰ كانت غزوة أحد في العام الثالث، وفيها لم يستطع المنافقون والمشركون واليهود أن يواجهوا الحق وأهله بالقوة والسنان؛ فلجأوا إلىٰ أعمال الغدر والخيانة والمكر والخديعة، فرجع عبد الله بن أُبيّ بن سلول بثلثِ الجيش إلىٰ المدينة، وصنع المشركون الكمائنَ والحُفَر؛ ليوقعوا بالصحابة ﷺ ، بالإضافة إلىٰ نزول نفرٍ من الرماة، واشتغالهم بالغنيمة، وعدم الصبر وطاعة الأمير، كلُّ هذا أدّىٰ إلىٰ أن أصاب المسلمين ما أصابهم يوم أُحُد، وقُتل من أفاضل الصحابة من قُتل؛ كحمزة بن عبد المطلب ﷺ ، وسخر اليهود والمنافقون من المسلمين، وأظهروا ما في قلوبهم من البغضاء، وقالوا ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [9].

---

(7) سورة "الحشر" الأيتان (٨ – ٩).

(8) سورة "آل عمران" الأية (١٢٣).

(9) سورة "آل عمران" الأية (١٥٦).

فما أشبه الليلة بالبارحة.

ولم تفت هذه الخيانات والتحالفات في عضد النبي ﷺ وأصحابه، بل زادتهم إيمانًا وتوكلًا علىٰ الله ﷻ وحده، فاستمروا في نشر الحق ورحمة الخلق بهذا الدين، واهتمّوا بما خُلقوا له، ولم يهتموا بما خُلِق لهم من لُعَاعات الدنيا الفانية، وكانوا حريصين علىٰ إخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، ومن الشقاوة والضلال إلىٰ الخير والحبور، فرحين بنجاة من نجىٰ من النار لا الفرح بهلاكه وحرقه بها، فزادهم الله إيمانًا وقوةً إلىٰ إيمانهم وقوتهم.

فلم يجد أعداء الدين إلا أعمال الغدر والخيانة؛ ليوقفوا هذا السيل الجرار، المتدفق بالخير والازدهار؛ ففي صفر من العام الرابع من الهجرة: غَدَر رهْطٌ -من عضَل والقارة- بعشرةٍ من خيرةِ الصحابة ﷺ ، بعد أن استمدوهم من رسول الله ﷺ وأمَّنوهم، ثم دلُّوا عليهم هُذيلاً، فنفروا إليهم فيما يقرب من مائتي رامٍ، فقتلوهم بالنبل، ولما همّوا بقتل آخرهم وهو خُبيب بن عدي ﷺ أنشد قائلًا :

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا * علىٰ أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي**

ولســت بمبدٍ للعدو تخشّعــًا * ولا جزِعــًا ، إنّي إلىٰ الله مَرجعـي**

فضربوا أروع الأمثلة في الثبات والشجاعة والتقدم، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما بدّلوا تبديلاً، وقد كان لهذه الغدرات الأثرُ الكبير في نفوس المسلمين حينئذ.

وفي نفس هذا الشهر -صفر من العام الرابع- بعث رسول الله ﷺ إلىٰ أهل نجد سبعين صحابيًّا من حفظة كتاب الله ﷻ ؛ ليرشدوهم إلىٰ الحق، فقام عامر بن الطفيل -سيد بني عامر- فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم -وهم رِعْلٌ وذَكْوَان وعُصَيَّة- فأحاطوا بهؤلاء القراء، وقتلوهم عن آخرهم إلا رجلين منهم ﷺ .

وقد وصل للنبي ﷺ خبرُ هذه الحادثة -المعروفة بحادثة بئر معونة- مع خبر سرية الرجيع في يومٍ واحد، فحزن ﷺ عليهم حزنًا شديدًا، وخطب في أصحابه، وكان فيما قال ﷺ عن القرّاء: «**إن إخوانكم قد قُتِلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا، أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا**»[10]، وأقام يدعو علىٰ الغادرين شهرًا في الصلاة.

---

(10) رواه مسلم (3529) من حديث أنس بن مالك.

فما أسوأ عاقبة الطيش والغدر؛ فقد تكون الأمة مرتاحة البال هادئة الخواطر حتىٰ تقومَ جماعةٌ ظالمة أو تنظيمٌ دمويٌّ بأعمال غدر، يظنون من ورائها النكاية والنجاح والانتصار؛ فتجلب عليهم وعلىٰ أقوامهم الشرور والفتن والعار، ويعاقبهم الله ﷻ بحرمانهم مما أرادوا، **فما أشبه الليلة بالبارحة.**

ويلكم يا لَغُدَر[11] ..

فالغدر من الصفات المذمومة ، والخصال القبيحة التي تدل علىٰ فساد في النية والطوية وخلالٍ وإنحراف في القول والعمل .

وهو من خصال أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين في الدرك الأسفل من النار ، الذين يتشدقون بالحق والخير ويبطنون الضلال والشر ، أولئك القوم هم الأعداء للدين وللنفس والأرض والعرض ، فلا يضرنك قولهم المزخرف ، ولا سمتهم المزيف ، وقد استبطنوا العداوة والبغضاء لمن حوله من المسلمين.

قال ﷻ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [12] .

وقال ﷻ : ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾[13] .

---

(11) **الغدر لغة:** قال ابن فارس -رحمه الله : «الغين والراء أصلٌ صحيح يدل على ترك الشيء، من ذلك: الغدر: نقض العهد، وترك الوفاء به، ويقولون في الذم: يا غُدَر، وغدرته فهو غادر».

وقال الراغب -رحمه الله: « والغدر: يقال لترك العهد، ومنه قيل: فلان غادر، وجمعه: غَدَرَة، وغدَّار: كثيرُ الغدر، وغدر الرجل غدرًا وغدرانًا، وقالوا الذئب غادر ، أي : لا عهد له كما قالوا : الذئب فاجر .

قال ابن منظور -رحمه الله :"ورجل غادر وغدار وغدير وغدور ... وغُدَر ، وأكثر ما يستعمل هذا في النداء في الشتم ، يقال :يا غُدَر ، **ويقال في الجمع يا لغُدَر** ".

واصطلاحا : قال الحافظ -رحمه الله – في "الفتح" هو الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به ، وهو خلق مستقبح ، وإن كان يصاحبه فيه منفعة ، وهو بالملوك والرؤساء أقبح ، ولهم أضر .

(12) البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦.

(13) المنافقون: ٤ .

لذا حذر النبي ﷺ من التشبه بأي خصلة من خصالهم ، ومن إتصف بها كان فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها ، أخرج الشيخان في صحيحهما عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال:قال رسول الله ﷺ : «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها ، إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ،وإذا خاصم فجر**» .

قال علماؤنا -رحمهم الله تعالىٰ: إذا عاهد غدر أي إذا أعطىٰ عهدا علىٰ أي شيء من الأشياء غدر به ونقض العهد ، وهذا يشمل تحريم الغدر مع جميع الخلق من المسلمين والمعاهدين من غير المسلمين .

والغدر محرم في جميع شرائع الأنبياء ، وهو أشد حرمة في شريعة محمد ﷺ ، فهو من كبائر الذنوب ، وصاحبه متوعد بأشد العقوبات والعذاب والويل ، كما أنه معرض في الدنيا لسخط الله ، وسخط خلقه ، ولعنهم له ، ودعاؤهم عليه ، ولا يفلح الغادرون أبداً، ولا صلاح لأعمالهم ، ولا نفاذ لكلامهم .

روىٰ الشيخان عن ابن عباس قصة هرقل ملك الروم مع ابي سفيان بن حرب ومنها تلك العشرة أسئلة التي يتضح من خلالها الحق والإصلاح من منهج الضلال والإفساد ، فقال **وسألتك هل يغدر؟ فقلت أن لا وكذلك الرسل لا يغدرون** ... الحديث .

وهكذا أتباع الرسل يتبرأون من الغدر وأهله خلافا لأعداء الأنبياء والسنن سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان ، اللذين يخدعون الجهلاء بأنهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ، طوبىٰ لمن قتلهم وقتلوه ، شر قتلىٰ تحت أديم السماء ، وهم كلاب أهل النار ، كما جائت النصوص بأوصافهم والتحذير منهم ، فحُق أن يُستنفَر من بالداخل والخارج لصد فكر هؤلاء الخوارج ، اللذين أفسدوا ديننا ودنيانا .

ديننا دين السماحة والإحسان والرحمة يريدون هؤلاء قصدوا أم لم يقصدوا أن يصوروه للناس أنه دين الغدر والإجرام والقسوة ، كيف ذلك وهو دين يخبر -خبراً لفظا إنشائياً معنىٰ- بأن إمرأة بغي دخلت الجنة في كلب رحمته فسقته وحالت دون أن يموت عطشا، وفي المقابل يخبر عن امرأة دخلت النار في هرة سجنتها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض إلىٰ غير ذلك من الآثار الصحيحة الصريحة في النهي عن قتل الأنفس المعصومة بغير حق .

شريعة غراء شدد فيها النبي ﷺ التحذير من كل خلق ذميم ومنه الغدر ومخالفة عهد رسول الله ﷺ ولو في أمور دنيوية بسيطة ، للدلالة علىٰ عظم وحرم هذا العمل وأثاره الخطيرة .

أخرج ابن ماجه -رحمه الله- في سننه عن النعمان بن بشير ﷺ قال : "أُهدي للنبي ﷺ عنبٌ من الطائف فدعاني ، فقال **خذ هذا العنقود فأبلغه أمك** ، فأكلته قبل أن أبلغه إياها ، ولما كان بعد ليالٍ قال لي ما فعل العنقود، هل أبلغته أمك ؟ قلت :لا ، قال: فسماني غُدَرَ .

قلت : فكيف بمن قتل المسلمين والمعاهَدين المُستأمَنين بغير حق؟! ، كيف بمن اغتال خيرة العلماء بغير ذنب ؟! ، كيف بمن غدر برجال الأمن علىٰ الثغور والحدود في أفضل البقع وأعظم الأوقات حرمة عند الله ﷻ وعند المؤمنين ؟! ، كيف بمن خرب وفجر وأحرق ودمر المقدرات والممتلكات الخاصة والعامة ؟! ، كيف وكيف .. فحسبنا الله ونعم والوكيل .

هؤلاء القوم هم من أبغض الخلق إلىٰ الله عز وجل وإلىٰ المؤمنين؛ أخرج البخاري -رحمه الله- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال : «**أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ ثَلاَثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ**» .

قال ابن تيمية -رحمه الله: «سنة الجاهلية يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة ، أي :في شخص دون شخص ، كتابية أو وثنية ، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون» .أهـ .

وهؤلاء جمعوا الثلاث جميعا في أقوالهم وأعمالهم .

فالغدر عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة ، في الدنيا صاحبه مطرود ملعون ، وفي الآخرة متوعد بالنار والخزي والعار ؛ ولذا تبرأ النبي ﷺ ، وكذلك كل عاقل صادق ، من الغدر وأهله .

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ** ».

قال الصنعاني -رحمه الله- فيه دلالة علىٰ شدة جرم من ذَكر ، وأنه ﷺ يخصمهم يوم القيامة نيابة عن من ظلموه ، وقوله أُعطىٰ بي : أي : حلف باسمي وعاهد ، أو أعطىٰ الأمان باسمي وبما شرعته من ديني ، وتحريم الغدر والنكث مجمع عليه . أهـ .

وقال ﷺ : « **ذمة المسلمين واحدة يسعىٰ بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفًا**» [14].

فإذا كان هذا الوعد في حقِّ من أخفر مسلمًا وحدًا، فكيف بمن أخفر رهطًا؟ فكيف بمن أخفر بلدًا؟! فكيف بمن أخفر أمّة؟!! فعليه لعنات الملائكة والناس أجمعين، وقد برئَ منه رسول الله ﷺ في غير ما حديث صحيح.

جاء في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ : «**من حمل علينا السلاح فليس منا**».

وفي صحيح مسلم، أنه ﷺ قال : «**ومن قاتل تحت راية عمية، يدعو لعصبة، أو يغضب لعصبة، فقُتل، فقتلته قتلة جاهلية، ون خرج علىٰ أمتي يضرب برَّها وفاجرها ولا يتحاشىٰ من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهده، فليس مني ولست منه**».

وكل سنيّ متبع يجب عليه أن يتبرأ مما برئ منه رسول الله ﷺ ؛ فاللهم إنا نبرأ إليك مما فعل هؤلاء الخوارج المارقون، بجميع مسمياتهم، واختلاف اتجاهاتهم، من تنظيم داعش، والقاعدة، والنصرة، وبوكو حرام، وجماعة الشباب المقاتلة، وطالبان، والجماعات الإسلامية المنحرفة عموما، والجماعة الأم الإخوان المسلمين، وربيبتها التبليغية.

وهؤلاء القوم معرَّضون لإجابة دعاء المظلومين والمكلومين والصالحين، الذين فقدوا آباءهم وأزواجهم وأولادهم وإخوانهم، جرّاء هذه العمليات الخسيسة، فقد قنت النبي ﷺ شهرًا كاملًا يدعو علىٰ رعل وذكوان وعصية، لقتلهم -غدرًا- سبعين من أصحاب النبي ﷺ كما تقدّم، فكيف بمن قتل المئات من خيرة علماء المسلمين، وخيرة محاربيهم ومقاتليهم، من الذين يحافظون عن حدود الدور، وعقيدة الصدور، فهم متوعّدون بسخط الله تعالىٰ وسخط عباده في الدنيا والآخرة، ولفضيحة الآخرة أشدّ وأنكىٰ .

---

(14) أخرجه مسلم من حديث علي رضي الله عنه .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: «**يُنصب لكل غادرٍ لواء عند استه يوم القيامة، فيقال هذه غدرة فلان بن فلان**» .

قال النووي رحمه الله في شرحه علىٰ مسلم: « لكل غادر لواء أي علامة يُشهد بها في الناس ، لأن موضوع اللواء الشهرة ، وفي هذه الأحاديث بيان غُلظ تحريم الغدر ، وظاهره أن لكل غدرةٍ لواء ، فيكون للواحد ألويةٌ بعدد غدراته» .أهـ .

فسبحان الله، كيف لا يرعوي هؤلاء السفهاء الضلال بمثل هذه الأدلة الصريحة في تغليظ وتحريم وتجريم أعمالهم، وفضيحتهم في الدنيا والآخرة، وكم عدد أولية الغدر والخيانة التي ترفع عند استهم[15].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- معلقًا علىٰ الحديث : "والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيًا، لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علمًا منشورًا علىٰ صاحبه بما فعل، وهكذا يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر، وليخزيهم الله علىٰ رؤوس الخلائق" اهـ .

وقال الشوكاني -رحمه الله- في شرحه علىٰ المنتقىٰ : "عند استه: قال المنير: كأنه عُومل بنقيض قصده، لأن عادة اللواء أن يكون علىٰ الرأس، فنصبه عند السفل زيادة في فضيحته، لأن الأعين غالبًا تمتد إلىٰ الألوية فيكون ذلك سببًا لامتدادها للذي بدت له ذلك اليوم" اهـ .

فالله أسأل بأسماءه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، أن يخزي هؤلاء الخوارج، وأن ينتقم منهم، وأن يرحم قتلىٰ أهل السنة، ويرزقهم الفردوس الأعلىٰ من الجنة، وأن يأجر أقوامهم في مصيبتهم، وأن يصرف عنا وعنهم وعن جميع المسلمين كيد الكائدين ومكر الماكرين وشر كل ذي شر، بفضله ومَنِّه.

كما أدعو الله عز وجل أن يؤلّف بين قلوب والرعية، وبين الرعية بعضهم وبعض، وأن يسلل سخيمة قلوبنا، وأن يجعلنا صفًا واحدًا علىٰ الحق مجتمعين، صادعين به، صابرين عليه، مجانبين للخلافات والنزاعات

(15) صدق الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ سورة "الأعراف" الاية ١٧٩.

وسفاسف الأمور، حارسين لظهور إخواننا وجنودنا، مترحمين علىٰ من مات منهم، ذاكرين جميلهم علينا، غير جاحدين.

فإياك إياك أيها المسلم من خيانتهم، أو تخذيلهم، أو تثبيطهم، بقولٍ، أو فعلٍ، أو أي شكلٍ من الأشكال.

قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾ (16).

وقال ﷺ: "ذمة المسلمين واحدة، فإذا جارت عليهم جائرة فلا تخفروها، فإن لكل غادرٍ لواء يُعرف به يوم القيامة" (17).

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو خديجة

عصام الدين بن أبي السعود

غفر الله له ولوالديه ولشيوخه وللمسلمين أجمعين

---

(16) سورة "الأنفال" الآية ٢٧.

(17) صحيح الجامع من حديث عائشة رضي الله عنها.